Journal of Al-Quds Open University for Humanities & Social Studies - No (66) – January 2025
https: //journals.qou.edu/index.php/jrresstudy
E-ISSN: 2616-9843/ P-ISSN: 2616-9835

The Urban Composition of the City

The Historical City Centers of Tulkarm as a Model

Mr. Abed Alfatah Al-Kom[1], Dr. Muhammad Bin Hamoud[2]

1PhD student, University of Sfax, Tunisia.
Oricd No: 0009-0006-5823-6165
Email: montaser.1477@yahoo.com

2Higher Institute of Arts and Crafts, University of Sfax.
Oricd No: 0009-0001-6600-152X
Email: bhamouda.8@gmail.com

Received:
20/ 06/ 2024

Revised:
20/ 06/ 2024

Accepted:
28/ 08/ 2024

***Corresponding Author:**
montaser.1477@yahoo.com

Citation: Al-Kom, A. A., & Bin Hamoud2 , M. (2025). The Urban Composition of the City The Historical City Centers of Tulkarm as a Model . Journal of Al-Quds Open University for Humanities and Social Studies, 7(66). https://doi.org/10.33977/0507-000-066-005

DOI:

2025©jrresstudy. Graduate Studies & Scientific Research/ Al-Quds Open University, Palestine, all rights reserved.

- **Open Access**

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract

The research focuses on identifying and analyzing the architectural and urban characteristics of historical city centers to enhance spatial identity by connecting these features with the values of the local community.

Objectives: It aims to address issues such as inadequate facilities and services, traffic congestion, and the need for the rehabilitation of historical buildings with aesthetic and functional value.

Methods: The study uses an inductive approach, combining insights from previous literature with descriptive, analytical, and field methods, including direct observation of the region.

Results: The findings highlight the key features of spatial identity, identify the problems related to the lack of facilities and services, and propose strategies for maintaining, preserving, and rehabilitating historical buildings in line with sustainable development principles.

Conclusions: The research underscores the importance of preserving the aesthetic, historical, and artistic aspects of historical buildings to ensure their continuity for future generations. This approach contributes to comprehensive urban improvement, including architectural and structural maintenance, and helps safeguard traditional design values, thereby supporting sustainable development.

Keywords: Visual distortions, urban formation, urban addition, cultural identity.

التشكيل الحضري للمدينة، مراكز المدن التاريخية مدينة طولكرم أنموذجاً

أ. عبد الفتاح أحمد علي الكم[1]، أ. د. محمد بن حموده[2]

1طالب دكتوراه، جامعة صفاقس، تونس، المعهد العالي للفنون والحرف، جامعة صفاقس، تونس.

2أستاذ دكتور، جامعة صفاقس، المعهد العالي للفنون والحرف، صفاقس، تونس.

الملخص

يركز البحث على تحديد الخصائص المعمارية والعمرانية لمراكز المدن التاريخية، وتحليلها لتعزيز الهوية المكانية من خلال ربط هذه الميزات بقيم المجتمع المحلي.

الأهداف: يهدف إلى معالجة قضايا مثل عدم كفاية المرافق والخدمات، والازدحام المروري، والحاجة إلى إعادة تأهيل المباني التاريخية ذات القيمة الجمالية والوظيفية.

المنهجية: تستخدم الدراسة منهجا استقرائيا، يجمع بين رؤى من الأدبيات السابقة والأساليب الوصفية والتحليلية والميدانية، بما في ذلك الملاحظة المباشرة للمنطقة.

النتائج: تسلط النتائج الضوء على السمات الرئيسية للهوية المكانية، وتحدد المشاكل المتعلقة بنقص المرافق والخدمات، وتقترح استراتيجيات لصيانة المباني التاريخية والحفاظ عليها وإعادة تأهيلها بما يتماشى مع مبادئ التنمية المستدامة.

الخلاصة: يؤكد البحث على أهمية الحفاظ على الجوانب الجمالية والتاريخية والفنية للمباني التاريخية لضمان استمراريتها للأجيال القادمة. بسهم هذا النهج في التحسين الحضري الشامل، بما في ذلك الصيانة المعمارية والهيكلية، ويساعد على حماية قيم التصميم التقليدية، وبالتالي دعم التنمية المستدامة.

الكلمات الدالة: التشوهات البصرية، التشكيل الحضري، الإضافة الحضرية، الهوية الثقافية.

المقدمة

المدن التاريخية تمثل تراثا حضاريا يتأثر بالتحديات والتغييرات الحديثة نتيجة للاحتياجات الجديدة والتطورات الديموغرافية والنمو الاقتصادي، إن التغييرات التي تتعرض لها مراكز المدن التقليدية والتي يعود بمعظمها الى مئات السنين، أي خلال الفترة العثمانية وهي امتداد للعمارة الإسلامية، واستمرت على مر الزمن والتي تؤثر على التغير في سماتها وتشكيلها الحضري، والتي تنعكس على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، يمكن أن تتم إعادة تطوير المناطق القديمة لتكون أكثر استدامة وأمانا، مع الحفاظ على الهوية التاريخية وعلى السمات المعمارية التقليدية والتاريخية للمدينة وعلى جمالياتها مع مواكبة التطورات الحديثة، وتعكس المدن التاريخية رؤية بصرية فريدة تعبر عن تراث وثقافة الشعوب التي عاشت وتطورت فيها، لذلك تواجه مركز المدن التاريخية تتطلب توازنا بين التطوير المستدام والحفاظ على التراث والهوية الثقافية لهذه المدن.

وفي ظل عدم انسجام التصاميم وتطور المواد المستخدمة في البناء من ألواح زجاجية بألوان مختلفة وقطع الألمنيوم لتغطية واجهات المباني بديلا عن استخدام الحجر الأبيض في المباني، وهنا يكمن تباين أشكال المنشآت بين القديم والحديث في الموقع الواحد، واختلاف مواد البناء وتقنياته بين منشأة وأخرى وخطورة التشوه البصري في ارتباطها بالدرجة الأولى بفقد الإحساس بالجمال، ولعل استخدام مواد بناء رخيصة لكسوة الوجهات الخارجية، وعدم إنهائها بطريقة جميلة ويكون أحيانا الهدف تجارياً مادياً، يعمل على تشويه بصري للمباني وانهيار الاعتبارات الجمالية والرضا والقبول بالصورة القبيحة وانتشارها، حتى أصبحت عرفاً بصرياً وقانوناً موجوداً، لذلك على البلدية متابعة الأعمال بما ينسجم مع الشكل العام بصرياً وجمالياً وتكميلياً وهنا يكمن دور المعماري المصمم في إقناع المالك باعتماد مواد تحقق للمبنى جماله.

أهمية الدراسة :

تسهم في تعزيز الوعي الثقافي والحفاظ على الهوية الثقافية والمعمارية الفريدة لمراكز المدن، وتحسين جودة الحياة واستدامتها، وتأهيل المباني ذات القيمة الجمالية، وإشغالها وتوفير قاعدة معلوماتية لأصحاب الشأن لتخطيط مستدام يتوازن مع الاحتياجات للمدينة والمجتمع .

مشكلة الدراسة:

إن التحديات التي تواجه التطور المستمر لمراكز المدن التاريخة وعدم الاستقرار العمراني فيها، أدى إلى فقدان الهوية الثقافية، والتدهور العمراني، وزيادة الضغوط على الخدمات والمرافق، عدم الاهتمام بالتشكيل الحضري والبصري لمراكز المدن الفلسطينية بصورة عامة ومدينة طولكرم بشكل خاص.

أهداف الدراسة :

تركز الدراسة على فكرة الحفاظ على المباني التاريخية وإعادة توظيفها بحلول متوازنة مع التنمية والنمو العمراني والمتطلبات الحضرية وربطها بالقيم الاجتماعية والثقافية ببرامج التنمية المستدامة وتعميق الإحساس الجمالي لدى السكان بأهمية التراث، وتحليل وتقييم النواحي البصرية والجمالية في مركز مدينة طولكرم، والتركيز على الترميم وإعادة تأهيل المباني التاريخية باستخدام المواد التقليدية والتقنيات المعمارية الأصيلة، ووضع سياسات تحكم التوسع العمراني وتوجيهه بما يتماشى مع الطابع التاريخي للمدينة، وتعزيز الوعي المجتمعي بأهمية الحفاظ على التراث الثقافي والهوية التاريخية للمدينة من خلال حملات توعوية وبرامج تعليمية.

أسئلة الدراسة :

1. ما هي التحديات العمرانية المكانية التي تواجه مراكز المدن التاريخية في ظل التطور الحضري الحديث؟
2. كيف يمكن تطوير استراتيجيات التخطيط العمراني لتحافظ على التراث التاريخي للمراكز الحضرية وتدعم التوسع العمراني المستدام؟
3. ما هي السياسات والتدابير العمرانية التي تسهم في الحفاظ على الهوية التاريخية للمراكز الحضرية؟
4. كيف يمكن تعزيز المجتمع المحلي ودمجه في العمليات التخطيطية والعمرانية للحفاظ على مراكز المدن التاريخية؟
5. كيف يمكن الحفاظ وإعادة استخدام المباني التاريخية وتوظيفها بالحلول المتوازنة مع المتطلبات الحضرية؟

منهجية الدراسة :

لقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي بما استطعت الوصول له من كتب ومجلات وأبحاث ودراسات مشابهة المنطقة الدراسة، والمنهج الوصفي التحليلي والإحساس الحسي والمعنوي بالمكان من خلال الوحدة البصرية والترابط الشكلي لإبراز المشكلة البحثية من خلال المشاهدة والتسجيل والوصف في حدود منطقة الدراسة (مدينة طولكرم).

حدود الدراسة المكانية والزمانية :

- حدود الدراسة المكانية: تركز هذه الدراسة على الوسط التجاري في مدينة طولكرم، والذي يتمثل بمركز المدينة التجاري والسياحي والتاريخي والوظيفي، كما يمتاز بجماليات المباني القديمة في منطقة الدراسة والتي تشمل منطقة ومحيط المسجد القديم وسوق الذهب امتدادا مع الشارع الرئيسي والذي يمتد من محيط مبنى السرايا العثماني بلدية طولكرم القديمة مرورا بسوق الذهب حتى مفرق التربية والتعليم القديم، والذي يعتبر المركز التجاري والاقتصادي وشريان الحركة الرئيسي وحلقة الوصل فيها .
- حدود الدراسة الزمانية: ضمن الفترة الزمنية من بداية آذار 2022 لغاية شهر نيسان 2024.

دراسات سابقة :

تمثلت دراسة جواد بالتغييرات التي حصلت في استعمالات الأرض والتي أثرت على الأنماط البنائية والطرز المعمارية والتكوينات الحضرية لتلك المراكز، والتي جاءت نتيجة لتلبية متطلبات لحياة حديثة، قد أثرت سلبا على خصائصها التخطيطية والعمرانية ومن ثم على هويتها وخصوصيتها، إضافة إلى بناء قاعدة معلوماتية للحفاظ في مراكز المدن التاريخية من التغيير (جواد، 2011).

رأي الباحث أن المحافظة على النسيج العمراني التقليدي والحفاظ على الهوية والتراث مع مواكبة التطورات الحديثة، مع أن جواد تحدث عن دراسة إعادة التشكيل وفقا لتغيرات والاستخدامات، مع توازن بين التطوير والحفاظ على الخصائص التخطيطية والعمرانية، قد تتغير أو تختفي الفراغات العامة نتيجة للتطورات التجارية والصناعية، وبمجملها تؤدي الى اختلال في التوازن وتؤثر على جودة الحياة.

تطرق الكناني في دراسته إلى المشكلة التي تعاني منها معظم مراكز المدن في عالمنا العربي وضعف الاهتمام بالتشكيل الحضري والبصري للمدينة، وضعف الإدراك للمتلقي لبيئته الحضرية، حيث تم اعتماد المنهج الوصفي لتحليل منطقة الدراسة من خلال المشاهدة والتسجيل والوصف في حدود منطقة الدراسة (بلدوز)، كما ركز البحث على الإدراك البصري الشمولي للمدينة، والإحساس بالمكان وبالوحدة البصرية، وهدف البحث اللي تحليل وتقييم النواحي البصرية والجمالية في المدن (الكناني، 2012).

توافق الباحث مع ما تطرق له الكناني في المشكلة نفسها التي تعاني منها مراكز المدن، وتأثر الجوانب البصرية والجمالية والتحديات التي تواجه المدن والسعي لتحقيق توازن بين الناحية الجمالية للمباني والشوارع ووظائفها العملية، مع الأخذ بعين الاعتبار الكثافة السكانية والتوزيع السكاني.

تناول الزبيدي في دراسته مشكلة التلوث البصري وتأثيره السلبي على المشهد الحضري والتجاري لمنطقة الدراسة، كما هدفت الدراسة إلى بناء قاعدة معرفية لظاهرة التلوث البصري للمشهد الحضري التجاري في مراكز المدن، وكانت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة تعرض المشهد الحضري التجاري إلى تشويه بصري والافتقار إلى العناصر الجمالية والبصرية ونقص في أثاث الشوارع، وأوصت الدراسة بأن تقوم جهات الاختصاص بالتنسيق مع بلدية الكوت بعدد من الإجراءات التي تهدف إلى تحسين النواحي البصرية والجمالية للمشهد الحضري للمحاور التجارية، وتأثيث الشوارع، وتنظيم اللوحات الإعلانية وسن التشريعات والقوانين لتنظيم الناحية الجمالية، مع أهمية تعزيز وتفعيل دور المشاركة المجتمعية والثقافة المجتمعية وضرورة الحفاظ على النواحي الجمالية للمدينة (الزبيدي، 2016).

تشابهت الفكرة في الدراستين وهو تعزيز الوعي والإدراك البصري لدى السكان، وأهمية الحفاظ على البيئة الحضرية الجميلة والجذابة، وعلى أهمية الشعور بالمكان والوحدة البصرية، دمج الزبيدي جوانب متعددة تتضمن التخطيط الوظيفي والجمالي والوعي البصري للسكان.

أولاً- تحليل النواحي البصرية والجمالية في المدينة وتقييمها

المدن هي أشكال حضرية شديدة التعقيد، وتتداخل عناصرها وتتشابك، وإدراك المشهد البصري الحضري هو على حد سواء وظيفي ومرئي ويخضع لتشكيله القيم النابعة من جماليات العمران، ويتم ذلك من خلال الصور، والقيم الاجتماعية والثقافية التي تقوم عليها جميع أفكار التخطيط والتصميم الحضري، وأن غياب هذه القيم، أو أي منها، يشوه ويهز المشهد البصري للمدينة، إن احترام سمات المدن وأشكالها وميزاتها وجمالها ليس رفاهية في الحياة الحضرية، ولكنه حالة حضارية فطرية تصاحب مستوى التنمية الحضارية للمجتمع، والقيم الثقافية بشكل عام، وقيم الجمال بشكل خاص، إن تنمية القدرة على الإدراك هو التحول التطوري للمجتمع نحو مستويات حضارية أعلى (الجهاز القومى للتنسيق الحضارى، 2010: 5) .

تتعرض المدن للعديد من التغيرات في تشكيلها الحضري مما يؤدي إلى تغير في بنيتها وبيئتها وحالتها العمرانية ضمن مؤثراتها البيئية والصناعية التي تؤثر في التشكيل الحضري لتلك المدن أو أجزاء منها، وضرورة وضع الأسس العلمية والنظرية والتطبيقية لهذا النمط الحديث من المباني، من حيث التصميم المعماري والحضري بكل متطلباتها من حيث الوظيفة والمتانة والاقتصاد والجمال والتحضر الذي يسهم في تحسين الصورة والمشهد الحضري للمدينة، لقد اتجهت المدن العربية إلى البناء العمودي لحل العديد من المشاكل كضيق المساحات في مراكز المدن وارتفاع قيمة الأرض فيها، فأصبحت المباني ضرورة اقتصادية واستثمارية ملحة في ظل تطور نظريات ومفاهيم العمارة والتصميم الحضري والمفاهيم الجديدة التي تدخل في أنشطة المدينة كافة ، ومواكبة الطفرة التي تشهدها البلاد في النواحي العمرانية، والمتطلبات الحديثة في المباني ودورها في التشكيل الحضري والتعبير الحديث عن التحضر والتطور العمراني، إضافة إلى تلبية الاحتياجات الوظيفية والاقتصادية التي تعتبر رمزا للتحديث والتنمية والتعبير عن الهوية الثقافية والرخاء الاقتصادي.

1. المشهد البصري لمراكز المدن التاريخية:

لقد خضعت مراكز المدن التاريخية للتغيير، وقد اشتملت على بنية اجتماعية وهيكل اقتصادي أدى إلى تغييرات في استخدامات الأرض، مما تسبب في تغيير النسيج الحضري والبنية الحضرية، ومن ثم في الرؤية البصرية وخلخلة في عناصر الجذب لمراكز المدن، والتي جاءت نتيجة ضغوط التنمية الحضرية المعاصرة وإنعكاس لعوامل التغيير التي أثرت عليها في المرحلة الحالية وفي محتواه التاريخي والمعماري، وعلى حساب إزالة أجزاء كبيرة من نسيجها الحضري واستبداله بأنماط ونماذج البناء الحديث بعيدا عن واقعه التاريخي لمراكز المدن، وبالتالي فإن الأرضية التي أدت إلى التغييرات في تلك المراكز جاء نتيجة لأسباب عديدة، منها بعض المتطلبات الأنية والسريعة (في ظل الظروف السياسية التي نعيشها وفي ظل الاجتياحات المتكررة من قبل الإحتلال الإسرائيلي للمدينة) والتي أثرت سلباً على خصائصها التخطيطية والعمرانية، ثم على هويته وخصوصيته في التغيير والتحول في استخدامات الأراضي وفي وظيفتها التقليدية، وتشخيص ما نتج عن ذلك من التغيير البصري هيكليا وحضريا من أجل تحديد هذا التغيير واتجاهاته بما يحافظ على هوية وخصوصية تلك المراكز.

اتخذت مراكز المدن خطوات عملية تتمثل في إمكانية إعادة إنشاء الخطوط والمساحات التقليدية لوسط المدينة مع تحديد مواقع الجذب الاقتصادي، حيث تتعرض المدن بمرور الوقت وبسبب عوامل مختلفة من التغييرات التي أثرت على ملامحها التخطيطية والمعمارية على وجه الخصوص، كما شمل التغيير فيها الهيكل الاجتماعي والاقتصادي الذي أدى إلى إحداث تغييرات شاملة في استخدامات الأرض، ما أدى إلى تغيير في البنية الحضرية والرؤية البصرية فيها، كما أن الاستقطاب لهذه المراكز نتج عنه ضغوط التنمية العمرانية المعاصرة وانعكاسها على عوامل التغيير، والتي أثرت على مراحل التطور الحضري، ومحتواها التاريخي على حساب إزالة أجزاء كبيرة من النسيج العمراني واستبدالها بأنماط بناء غير منسجمة مع واقعها، مما أدى إلى فقدان خصائصها التاريخية والمعمارية المميزة لذلك المكان، ناهيك عن المعاناة لهذه المراكز القديمة من الإهمال وسوء الاستخدام، ومهددة اليوم بالتدهور ومحو هويتها وخصوصيتها، بسبب التدخل والإصلاح الذي نشأ مع تأثير التنمية الصناعية وتأثيرات قوى السوق والإقتصاد.

شهدت العقود الأخيرة تطوراً كبيراً في الأفكار والمدارس المعمارية الحديثة التي أثرت بشكل كبير على النمط التقليدي السائد في مراكز المدن، وخصوصا في المدن ذات الطابع التاريخي، تسببت بتغييرات جذرية على المشهد العمراني والهوية المعمارية للمدن، بما فيها مركز مدينة طولكرم. وما إلى ذلك من الأفكار التي أثرت على جميع المجتمعات اليوم، والتغيرات التي حدثت في الوظيفة والاستخدامات وأثرت على أنماط البناء والأساليب المعمارية، كما أثرت على التكوينات الحضرية لتلك المراكز حيث ظهر التغيير والتحول الذي بدأ في وظائفه واستخداماته الأساسية التقليدية على الأرض وما نتج عن هذا التغيير أثر على

هوية وخصوصية تلك المراكز، ويشير مفهوم المراكز التاريخية إلى كونها مراكز حية ذات قيم تاريخية وتراثية تمتلك أبعادا روحية ورمزية وجمالية (Papageorgiou, 1971:185)، بالإضافة إلى المساحات التي تحتوي على شواهد مختلفة على الإنتاج الغزير لحضارة المدينة (Preservation, 1987:1)، وهي جزء من كل أكبر، يتجاوز الطبيعة ليشمل البيئة المبنية والتجارة المعيشية اليومية للسكان من خلال مساحات غنية بقيم الماضي الذي يتحقق من خلال التحولات المتتالية (Preservation,1987:2)، وبناء عليه ومع ذلك، يجب أن تتوفر بعض الخصائص الموجودة حتى نستطيع أن نعتبر أي جزء حضري مركزا تاريخيا، فوجب أن يكون هيكل المركز عبارة عن هيكل حضري أصيل، وأن يكون للمركز أهمية معمارية ذات تأثير جمالي على زوار المكان ومستخدميه واستمراريه الحياة الإجتماعية . (Paolo Costa, 1977: 175).

2. التلف والاهتراء والانهيار الذي حل بالمراكز التاريخية:

أدى التلف والاهتراء والانهيار الذي حل بالمراكز التاريخية إلى فقدان الأجزاء الأساسية من نسيجها الحضري والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والتخطيطي والعمراني، مما وجب التقصي في المعرفة حول المراكز التاريخية وتحديد تميز عناصرها، والمراكز التاريخية هي مراكز حضرية حية وهي منسجمة مع الحاضر وتتميز بالنواة والعقد الحضرية التاريخية للمدن التي نمت وتطورت على مراحل متتالية، وفي ظل ظروف حضارية مختلفة، إذا اتخذت حالتها وواقعها بما في ذلك مشاكل التخطيط المحيطة مع عدم وجود مرافق وخدمات، حتى وصلت إلى الوقت الحاضر، حيث يرتبط تخطيط المدينة بعناصر متعددة من البنية التحتية وأنظمة النقل (Masfer, 1984: 31)، ويتمثل محتوى الخصائص التاريخية للمدن بمجموعة من العناصر ذات أبعاد روحية ورمزية وجمالية، والمتمثلة بالفضاءات الحضرية وشبكة الشوارع والعلاقات التي تربطهم بالمساحات الخضراء المحيطة، وشكل المباني والنظام الإنشائي، وكذلك المواد المستخدمة وتفاصيلها، كما أنه جزء من بيئة المدينة وهو تكوين له عوائد اقتصادية وقيم اجتماعية وثقافية (Eduardo,1999 :4)، والأهمية الثقافية للمراكز التاريخية واستمرارية الحياة فيها.

المنظمة الدولية (ICOMOS) في ميثاق (BORA - 1980) للحفاظ على الأماكن ذات القيمة الثقافية، حددت الأهمية الثقافية والحضارية مشيرة إلى مجموعة من القيم (Throsby) (مهدي، 2008: 7) ، والتي يمكن الاستناد عليها وتطبيقها والاستفادة منها القيمة الجمالية والاتساق والجماليات، القيمة الروحية، والفهم، والتنوير، والبصيرة، والقيمة الاجتماعية للتواصل مع الآخرين ، والشعور بالهوية والذاكرة الجماعية، والقيمة التاريخية والارتباط بالماضي من خلال وصفها بأنها وثيقة تاريخية يجب الامتناع عن التدخل فيها والمحافظة عليها بطريقة مستدامة، والقيمة الرمزية للأشياء والمواقع كمخزن أو منتقد للمعنى، قيمة الأصالة قيمة التفرد، أي المحافظة على مواد البناء الأصلية، التغيير في المباني أو الانهيار الكلي هو تغيير في المبنى وفي إضعاف القيمة ولا تكون على شكل ونسق واحد.

والمبنى ذو الأهمية هو الذي يحمل قيمة وأثراً وتجربة مهمة في تاريخ المدينة أي يكون له بصمة وأثر في حياة السكان، كما وتعتبر المباني التاريخية التي تحمل عناصر معمارية ذات أهمية تكسب المبنى قيمة جمالية، وتكون هذه المباني إما مبان فردية (تمثل المعالم المعمارية) أو تكون في مجموعة من المباني المدمجة (مهدي، 2008: 6) ، لقد حصلت على الأهمية التاريخية الحضرية مقابل استمرارية الحياة فيها، كما يتم تحقيق استمرارية الحياة في المراكز التاريخية حول مسار الاتصال في الزمان والمكان، والاستمرارية تكمن في الاستمرارية الاجتماعية وفي البنية الاجتماعية والوظيفة وارتباطها بذكريات ساكني هذه المراكز، والذي نعتبره تجسيدا للأحداث والمراحل التاريخية والشخصيات المؤثرة على الحدث، بينما تمثل استمرارية البيئة الحضرية وتجسيد تاريخي للارتباط المرئي للمزيج الاجتماعي، والاستمرارية الاقتصادية.

وتعتبر المراكز التاريخية من الموارد الاقتصادية للمدينة والمعالم السياحية والتجارية والدينية لما لديها من تراث مادي وغير مادي، حيث تظهر الأهمية الاقتصادية معماريا فيما يسمى بقيمة الاستخدام الناتج عن استخدام المبنى التاريخي أو مجموعة من الأبنية ذات مادة إنتاجية أعلى من المباني الأخرى غير التقليدية، إن الاستمرارية الفيزيائية التي تتمثل بمفهوم الحفاظ وهي محاولة لتحقيق طرائق الاستمرارية والبقاء بأفضل الوسائل المتاحة لتجنب حدوث الاهتراء والتلف، من خلال القيام بذلك يشمل جميع الإجراءات التي من شأنها تحقيق البيئة لتنمية التراث الحضاري والثقافي، وفق أطر ومحددات تحكمها الأعراف والاتفاقيات الدولية، ويأتي هذا عن طريق الحفظ والذي يتم تحقيقه عن طريق الارتباطات المرئية للتاريخ الاجتماعي، ومن خلال الاعتماد على متغيرات مكونات التكوين واستقرار الجوانب الاجتماعية، والأنماط الهيكلية التي تستخدم المباني التاريخية المميزة في العطاء والعوائد المالية من خلال قيمة الانتفاع بها اقتصاديا، وذلك في احتمالات تغيير استخدامات الأراضي وزيادة قيمتها،

وإيجاد بيئة مناسبة لاستخدامها في الجوانب المؤثرة فيزيائيا والحفاظ فيها على المراكز التاريخية، والحاجة الملحة لوجود التصميم الحضري بالإضافة إلى الإدارة الحضرية وإدارة الأراضي، حيث يتم تحقيق وجودها من خلال الاستثمار ضمن المكونات البيئة المادية ذات العوائد الاقتصادية، والمحافظة باستقرار المظاهر الاجتماعية التاريخية في مراكز المدن القديمة، والذي يعطي التطوير العمراني الذي حققه الجانب الاجتماعي دور اقتصادي يؤثر في قيمة الاستخدام ومفهوم الحفظ، إن منظر المدينة والذي ينظم العناصر المادية والبيئية للمدينة التي تبلور صورة حسية متكاملة العلاقات بين عناصرها، تضفي على هذه المنطقة طابعاً عمرانياً فريداً، وتحددها مجموعة من عناصر التصميم. (Cullen, 1961:13)

وكل ما تراه العين من مشهد المدينة، وتدركه الحواس، ويتفاعل مع جسد المدينة من خلال التجانس، والتكامل البصري، والشعور بالوحدة، والشعور بالمكان، والتجربة الإنسانية، والصورة الشاملة والجامعة التي يستخلصها الناس عن مكونات المدينة الحقيقية، وهي الانطباع عن المدينة ومحتوياتها من الأبنية باختلاف ارتفاعاتها وخاماتها وفضاءاتها الموزعة والمتنوعة، والتجارب، والذكريات، والروائح، ومؤثرات الحياة والموت، وتأثر بها كل شخص وفقاً إلى ميوله ونزعاته، وكون كل شخص صورته الشخصية عن أجزاء المدينة عن طريق علاقاته الفيزياوية بين كل قطاعات المدينة (Eames, 1977: 233)، هو الجانب المرئي والجمالي للتكوين الحضري، وتتشكل المناظر الطبيعية من التنظيم البصري لمكونات متعددة يخلقها البشر بأنفسهم داخل التجمعات الحضرية (Spreiregen, 1965 :51)، ويربط المشهد الحضري للمدينة بين المساحات الحركة الديناميكية والمساحة المستقرة، محددة من قبل الكتل الجانبية بحيث تصبح مساحة الحركة والتي تعمل على تشكيل الشارع من جانب الأبنية الخلفية، الذي يحتوي على مجموعات من العناصر مثل الأراضي والمناظر الطبيعية النباتات وأثاث الشوارع (لافتات، إعلانات، مقاعد) ، وتوفير خدمات البنية التحتية التي تعد مشاهد الشوارع جزءا مهما من مشهد المدينة، وخصائص المدينة كلها، فضلاً عن المكونات المادية التي تعكس معان مختلفة لسكان المدن (Ward, 1968 :76)، التي تنظم عناصر البيئة المادية للمدينة وبلورة الصور الحسية المتكاملة للعلاقات بين العناصر، يعطي المنطقة طابعا حضريا فريدا، ضمن مجموعة من المحددات وعوامل التصميم والتي تعمل على إبراز نقاط القوة البيئة الحالية، والتي صممها وعايشها وشعر بها المستخدمون، فعليه أن يحافظ عليها (ابراهيم، 1982: 4) .

ثانيا– التكوين الحضري لمراكز المدن التاريخية

لذلك يتكون التكوين الحضري من مكونين رئيسين: الهيكل المادي العناصر الثابتة، يمثله الشكل المادي Physical Form لمنظر المدينة، والعناصر البشرية يتفاعلان مع بعضهما البعض لتشكيل النسيج الحضري من الحركة والنشاط المرئي وعناصر متحركة Visible Activity مرئية، نشاط يتمثل في أحداث وأنشطة تتكون من حركات وأصوات أشخاص ومركبات وحشود تحدد مكانيا وتحدد هويته (المنودلاوي، 1991: 40) ، كما أن العديد من الاتجاهات السياسة الأساسية لمنهجية تحليل المناظر الطبيعية العمرانية والتصميم الحضري بشكل عام، وتحدد الوكالات والسلطات المختصة ذلك، وتشجع مستخدمي منهجيات الوصف الحضري على العمل معا لفهم سمات المناظر الطبيعية الحضرية والحساسيات الطبيعية ولتمييز سمات المناظر الطبيعية الحضرية على طول المشهد، من استخدامات الأراضي وأنماط الكتل والشوارع، وعمر المبنى والكتلة والقياس والكثافة، وممرات للمركبات وحركة المرور العادية، ومناسيب الطرق واحتوائها، والأفق والمناظر الطبيعية، الأسقف، خواص مواد البناء وفواصل الحدود، مقياس وتوزيع المساحات المفتوحة والعلاقات بين الأشكال المعمارية، العناصر التاريخية المرئية ومحيطها، والسمات البيئية ووجود المساحات الخارجية، العقد، وعناصر الانطلاق، وزوايا المشاهدة، والتبادلات البصرية المتعاقبة، والمعالم، والبوابات .

يعتبر التشكيل الحضري لمراكز المدن التاريخية للعناصرها الثقافية والمعمارية والاجتماعية التي تشكل نسيج المدينة، يعد الحفاظ على هذه المراكز أمراً ضرورياً للحفاظ على الهوية التاريخية والثقافية للمدن، مركز مدينة طولكرم هو نبض الحياة ووجهة المتسوقين ومركز الباحثين عن الخدمات الإدارية، كإحدى المدن التاريخية الفلسطينية، تعد نموذجا مميزا لدراسة التشكيل الحضري وتأثير الإضافات الحديثة عليها.

1. عناصر التشكيل الحضري في المدينة:

- الطابع المعماري: يتميز مركز مدينة طولكرم بوجود مبان تاريخية وظيفية وسكنية تعكس الطراز المعماري التقليدي للمنطقة (الطراز العثماني)، مع استخدام المواد المحلية مثل الحجر الأبيض ومادة الشيد والرمل في البناء، تعتبر الأسواق التقليدية والمساجد والساحات العامة من العناصر المعمارية البارزة التي تحدد الطابع التاريخي للمدينة .
- التخطيط العمراني: تتميز المدينة بتخطيطها العمراني الذي يعكس الحقبة التاريخية التي أنشئت فيها، حيث تميزت الشوارع الضيقة والملتوية والأزقة المتداخلة التي تسهل الحركة وتوفر الظل في البيئة المناخية الحارة، كما أن إنشاء الساحات العامة كانت تستخدم للأنشطة الاجتماعية والاقتصادية كساحة المسجد القديم والمنطقة المحيطة، ما يعزز من الترابط الاجتماعي بين سكان المدينة .
- العوامل الاجتماعية والثقافية: تعتبر مدينة طولكرم مركزا للعديد من الفعاليات الثقافية والاجتماعية التي تسهم في الحفاظ على التراث الثقافي للمدينة، وتسهم التقاليد والعادات المحلية في تعزيز هوية المدينة والحفاظ على الترابط الاجتماعي بين السكان .
- التحديات الحضرية: تواجه مدينة طولكرم تحديات كبيرة بسبب الإضافات الحضرية الحديثة التي تؤثر على الشكل والوظيفة للمباني التاريخية، تشمل هذه التحديات التوسع العمراني غير المنظم، والاستخدام غير المناسب للمواد الحديثة، والذي يؤدي إلى تشويه الطابع العام للمدينة.

2. الخصائص الحسية والمعنوية الجمالية للمدينة:

لفهم الخصائص المرئية والجمالية للمدينة، نحتاج إلى فهم عدة مستويات من الخصائص البصرية والجمالية لها، بدءاً من دراسة الخطوات العمرانية والبيئة الحية للمدينة بشكل عام، والطراز العمراني، والتكوين البصري للمدينة من حيث العناصر التي تؤثر في تكونات الصورة كما حددها كيفن لينش (Lynch) والفكرة بالتفصيل في جميع العناصر التي تضفي عليها مظهرا جميلا، مع حقيقة أنها حاجة ضرورية للمنطقة والبيئة بشكل عام من الاهتمام بالتوزيع وخصائص عناصر أثاث الشوارع المقاعد، أكشاك، أضواء، أشجار، والخصائص المرئية والجمالية للمدينة على هذه المستويات الثلاثة، من الممكن فهم الخصائص والعوامل التي تؤثر على الخصائص البصرية، التشكيل الجمالي للمدينة هو ثنائي الأبعاد من حيث توزيع مناطق وكتل المدينة، والتي تؤثر على الشكل البصري للمدينة، وتتعامل مع العلاقة المباشرة بين العناصر الصغيرة الحجم والمقياس الإنساني، ويتميز الإدراك البشري بخاصيتين متغيرتين متكاملتين خاصية أحدهما هو الملازمة، الإدراك الحقيقي والواقعي لما تراه، والآخر هو التعالي الذي يرتبط بالخيال والإدراك (جعفر، 2001: 16) ، وتوضح النظرية التفاعلية النظرية الحسية أهمية الإدراك، في عمليات التفاعل البيئة البشرية وليس حقيقة البيئة الفعلية (Canter, 1977: 8)، في حالة الإدراك الحسي، فهو يمثل التجربة الحسية المباشرة من الفرد إلى البيئة المحيطة في أي وقت، أي نقطة التقاء الإدراك والواقع من خلال الحواس، أي الإدراك من خلال الحواس، إن إدراك الأشياء يكون من خلال النقطتين مخالفة أو مقابلة ثم من الممكن إدراك وجود الأشياء، لذلك إذا لم يكن هناك فائدة من مواجهة شيء ما، فلا يمكن للمرء أن يدركه حتى لو كان مرئيا بشكل واضح وغير مخف، لا يمكننا إدراك الأشياء دون النقاط المقابلة (المطهري، 2009: 483) ، هناك مستويان من الإدراك (الأول: التقييم البشري للبيئة، والثاني: تقييم رد الفعل البشري) ، يصنف الإدراك بشكل عام إلى نوعين رئيسين، تصور الوعي والإدراك، الإدراك طريق الحواس (الوعي من خلال الحواس المكاني والزماني، الوعي هنا تأثر الإدراك الحسي بطبيعة المنبه) ، وفي فلسفة الإدراك الحسي لإبن سينا حول صورة العقل، فإن الإنجاز الذي يمثله تحقيق الإدراك ليس حقا في الشيء الخارجي نفسه، بل هو مثال عليه أو لديهم في الطريقة التي يرون بها الحافز الخارجي والموافقة على استجابتها لهذا الحافز (الكناني، 2005: 16) ، ويتأثر الإدراك بعوامل موضوعية وعوامل ذاتية أخرى، ومن هذه العوامل، العوامل الموضوعية، (الإنارة، ألوان، اختلافات عن البيئة، الحركة) ، والعوامل الذاتية، (إحساس بالأمان، الحالة النفسية للإنسان، الحاجة الروحية الأديان والمعتقدات) الإدراك المعرفي التعرف على كيفية فهم الأشخاص للمخططات الذهنية وبنائها واستخدامها والتعامل معها، (كل أنواع المعرفة بالحواس أو الإدراك) (Canter, 1977: 8)، بمعنى آخر، يعني معرفة شخص ما في مدينة نتيجة تجارب حول ذلك الشخص وإدراك تلك المعرفة من خلال الإدراك المعرفي، يمكن تقسيم الإدراك المعرفي إلى جزأين إدراك الجسم هذا الإدراك هو نتيجة التجارب الحسية السابقة الناتجة عن التفاعلات الجسدية السابقة مع الوضع الحالي، ونظرا لأن الذاكرة يتم الحصول عليها عن طريق الإدراك الحسي، يتم الحصول عليها نتيجة من الصور المخزنة في الذاكرة والتي تم الحصول عليها من خلال الإدراك يمكنك مقارنتها

بواقع الموقف الذي لديك، والوعي الإدراكي الفكري يأتي نتيجة معرفة شيء ما بطريقة فكرية غير مادية، من خلال الاعتراف بالخبرة وهذا يعني أن الإدراك المعرفي حدث نتيجة لإدراك فكري سابق، وبالتالي فإن النتيجة تتوافق مع الإدراك بمعرفة سابقة، وأيضا من خلال الوعي الذاتي نتيجة الحاجة إلى الطبيعة، وليس له علاقة بالتجربة، وقد نشأ منذ ولادة الإنسان، وفي معظم الأحيان الحاجة هي المعنى، وتستند إلى مثل هذه الأشياء نرى الأمور الفطرية للبشر منذ العصور القديمة، وهذا الميل يظل كما هو، يحتاج البشر إلى معالم غير ملموسة تغذي الروح، بسبب جوانبها الروحية أو الدينية، من خلال المساجد والزوايا، إن الإدراك العام للأشياء والتصور في نظرية الجشطالت قد تحقق من خلال تنظيمها في وحدات شكلية محددة، تشكل خصائص الأجزاء والكتل التي تحدد سلوكها وليس العكس، وخصائص الكل، على عكس خصائص الأجزاء (المبارك، 1999: 20) ، لا تعتمد عليها فقط وتنص نظرية الجشطالت على لعب دورا مهما في توليد الشكل البصري والإدراك، وهذه القوانين (جعفر،2001: 19) ، إذ تميل الأشكال المتقاربة إلى تكوين مجموعات مرئية يمكن قراءتها كهيكل واحد، والتشابه أي التعرف على العناصر ذات الخصائص المتشابهة (الشكل واللون والملمس) مثل وحدة مفردة الانغلاق، تميل الوحدات المرئية إلى أن تتشكل على شكل كليات مغلقة الاستمرارية، ويميل الناس إلى إدراك العناصر المستمرة كوحدة واحدة، ووضوح الحواف والتميز عن المحيط يساعد في التعرف إلى الشكل والوحدة كاملة المساحة مع انخفاض حجم المنطقة المغلقة، يميل الإدراك إلى رؤيتها كشكل، والتناظر Symmetry كلما كانت المساحة متناظرة كلما أدركت على أنها شكل،كما يمكننا أن نلاحظ هذه العلاقات التي تستطيع استقرار العوامل المؤثرة على الإدراك الحسي، والوعي العقلي بالبيئة العمرانية من مفاهيم في الإدراك العقلي التي يمكن تلخيصها بأنها تمثيل داخلي عند الفرد لجزء الحقيقة الخارجي وتعرف له عن طريق أي نوع من أنواع التجربة، وورد مصطلح (Image) صورة واستخدمها (Lynch) ليصف المدينة بصورتها العامة الصورة الذهنية المرئية (الكناني، 2005، ص:8) ، والخريطة الذهنية هي نوع من التخطيط الذهني، مخطط يعبر عن الإدراك العقلي لأجزاء من الواقع الخارجي والبيئة الكونية، أو تجريد يشير إلى مقطع عرضي مؤقت من البيئة يفكر فيه الناس في عملية إنشاء خريطة ذهنية، رسم الخرائط في عملية تنطوي على سلسلة من التلاعبات المعرفية، وتصور يسمح للشخص بجمع المعلومات وتشفيرها وتخزينها واستردادها واستدعائها، ويتعامل مع طبيعة البيئة الفضائية وتتعلق هذه المعلومات بالميزات والمواقف النسبية، والتأثير على الناس والأشياء في البيئة، وهي أداة أساسية في عملية صنع القرار المكاني.

3. الصورة الذهنية للمدينة:

الصورة الذهنية هي حضور صورة الأشياء في الذهن من خلال التصورات التي يحملها أفراد المجتمع عن العالم من حولهم بكافة مكوناته، وتعد الصورة نتاجا طبيعية لجميع خبرات الأفراد المباشرة وغير المباشرة التي يتلقونها عبر تفاعلاتهم الاتصالية المختلفة (حجاب،2007: 167) ، أو (في كل مكان توجد دائما صورة) ، شيء معين يمكن للعقل أن يتذكره مراراً وتكراراً، ليس بأدق التفاصيل، ولكن كانطباع عام، إنها العلامات الموجودة في المدينة التي تكمل الصورة، بتحسين العناصر القديمة أو إضافة عناصر جديدة متضاربة (Rechard,1969:179)، ويبدو أن هناك نقطة أساسية لتسليط الضوء على الشخصيات في البيئة الحضرية، من أجل تعزيزها لتتجاوز كونها شخصا في حد ذاتها، ولكن إذا كانت الأعراض موجودة، يتغير شكله ويستجيب لمتطلبات العصر والعامل الموحد ولا يمكن تمييزه، لذلك حتى لو كان واضحاً، لا يمكن للمرء أن يفهمه أو يميزه (المطهري، 2009: 483) .

الخريطة الذهنية هي الخبرة البشرية وإمكانات البحث في بيئة معينة، لاحظ أنه في هذه التجربة لا يمكن للمرء الحصول على جميع التفاصيل في الوقت نفسه الذي يحصل فيه على خريطة منطقة معينة، لأن الناس عادة ما يتذكرون مدنا بأكملها من خلال رموز محددة، وكل رمز أو حرف هو المفتاح لتذكر التفاصيل الأخرى، وما إلى ذلك الذاكرة مكتملة، ويمكن القول إن الشخص لديه خريطة للعقل بناء على هذا المفتاح (جعفر،2001: 26).

4. الهوية والتكوين البصري للمدينة:

والهوية عند لينش هي المدى الذي يمكن به تشخيص المكان أو تذكرة لكونه مميزا عن غيره من الأماكن، وبشكل فريد، عندما يعمل الشكل والإنسجام معا، تكون النتائج العاطفية قوية، وخصائص المدن يحتوي هيكل المدينة على عناصر أساسية والتي تشكل هوية الهياكل الحضرية وهي العناصر المشتركة لجميع الهياكل الحضرية والبنية الحضرية، للتشكيل البصري للمدينة الأساس الذي وضعه العالم كيفن لينش لقياس التكوين البصري هو مرجع لدراسة التكوين البصري في كتابه للمدينة، The Image of the City كيفين لينش، إن عدة الصور العامة ترتبط كل منها بعدد معين من سكان المدينة، ويرجع لمعتقدات،

وأحداث، وذكريات، وتاريخ المدينة، ومحتوى الصور الطبيعية للمدينة من خلال: الممرات، والحدود، والمناطق الأحياء، والعقود، والمناطق المميزة . (Lynch, 1981:132-133)

- الممرات، المسار الذي يمر من خلاله الناس ويتنقلون في حياتهم اليومية، (طرق المشاة، وسائل النقل المختلفة، الممرات المائية)، هذه العناصر هي العوامل الرئيسية التي تؤثر على تكوين الصور المرئية في أذهان الأشخاص الذين يستخدمون هذه العناصر.
- الحدود عنصر خطي غير مستخدم أو لا يعد ممرا بشريا، حد يفصل بين جزأين، هذا يحدد نهاية جزء وبداية جزء آخر وتعتبر خطوط الحدود مراجع جزئية وجانبية، وليس محور الأهمية نفسه، ولكن أنواع ودرجات مختلفة من الشفافية، ما يؤدي إلى طرق فصل غير متسقة، أهمية الحدود في تنظيم صورة التكوين البصري للناس من خلال تحديد الخطوط التي تربط بين الأماكن العامة وتحدد مناطق ومدن بأكملها.
- الأحياء هي أجزاء أصغر تشكل مدينة بأكملها لأنها ثنائية الأبعاد، فهي تسهم في التكوين البصري للمدينة كمرجع خارجي عند مشاهدة المدينة بصريا من الخارج، ولأن لها خصائص متشابهة تشكل المدينة، فهي دائما مرئية من داخل المدينة تعترف تفردها بشخصيتها .
- العقد هي مواقع استراتيجية في أماكن التجمعات الحضرية حيث يمكن للناس الدخول والتعايش مع العناصر، ينظر إليه أيضا على أنه العنصر الرئيسي (العقد) الذي لا يمكن تجاهله في أي تكوين مرئي للمدينة، ولكن في بعض الحالات قد ينظر إليه على أنه العنصر الرئيسي المسيطر، نقاط الاتصال بدايات، أو التقاء، أو تقاطعات خطوط النقل، أو ببساطة الشوارع والمحيطات العقدية التي اكتسبت أهمية متزايدة كمحور للعديد من الاستخدامات الطبيعية ولم يتم تصنيعها مثل الأجزاء المزدحمة، بعض العقد المركزية هي نواة المنطقة أو العالم المصغر (الأحياء) الذي يهيئ العديد من المدن (جوهرها إشعاعها الذي يعد رمزا لها) ، أن التكرار مرتبط بحقوق الحي أو المنطقة .
- المعالم مميزة المعالم نوع آخر من العنصر البصري الحضري ولكنه يتميز بنقص التسلل البشري، يتم ملاحظتها من الخارج فقط، فالمباني التي تتميز بطرازها المعماري (المباني القديمة، والقباب المذهبة، الأبراج، والجسور، والمآذن، المداخل، والوديان والجبال) ، والتي تظهر معالم مختلفة من الأبراج، والجبال التي تعمل كخلفيات لمدن مثلا مدن بين جبال على شكل جبال وخلفيات لمدن على شكل جبال وغيرها صغيرة الحجم ولها تأثير على طرزها المعمارية من خلال بعدها البصري، وتستخدم لتفعيل التأثيرات الإشعاعية، واستخدامه لتعيين مرجع اتجاهي مرئي أو ديناميكي أو إيقاعي للتكوين المرئي العام، ويرتبط كل منها بعدد معين من المدن، ويشير السكان إلى معتقدات المدينة وأحداثها وتاريخها وذكرياتها الخاصة في شكلها، وهي عملية عقلية مرتبطة بالعوامل الجسدية والنفسية وتتأثر بها .

ثالثا – المنظر الخارجي والتكوين العام لمدينة طولكرم

المنظر الخارجي لمدينة طولكرم ومركز محافظة طولكرم، المدينة الساحلية المتربعة على تلة بين الجبل والبحر، يحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق الجبل، من الشمال والجنوب امتداد السهل الساحلي وامتداد الأرض المزروعة، وامتداد إعاقة الاحتلال الإسرائيلي لأي تطور في مدى البصر من جدار فصل عنصري وشوارع التفافية تغذي المستوطنات، ومصادرة أراض بحجج مناطق عسكرية بالاتجاهات المختلفة التي يفرض عليها قوانين أقلها الهدم.

يعتمد التخطيط الحضري على نمط الشبكة؛ لذا فإن العقد والروابط المادية داخل المدينة واضحة وفعالة لتعزيز عناصرها ومشهدها العام، وإعادة التوجيه في مجال الرؤية، والوقت، والرؤية المتسلسلة من خلال الشارع الرئيسي لمدينة طولكرم، ستشعر بالاتجاهية ومجال الرؤية ومداه الواسع لكل جزء من أجزائها، مستوعبا مشهد المدينة بالتسلسل، كما أن الشعور بالمكان استثمر أفكارا لأنماط تشكيل الاستمرارية البصرية، وتتحقق الاستمرارية البصرية حيث السيطرة على المشهد البصري للمدينة من خلال المسوحات المرئية للمدينة ودور الذكريات في إيجاد السبل وأهمية المباني التاريخية والبحث عن طريق سلسلة من العمليات التي تبدأ بشخص يتخذ الخطوات الأولى نحو بيئته.

1. الجماليات والمتعة البصرية بالمدن التقليدية:

تؤثر المباني القديمة في المدن التقليدية ووسطها التاريخي والذي ينتمي إلى الخصوصية المحلية (الهوية) ، يمكن تقسيم المدينة إلى التقليدية القديمة والإضافة الحديثة المعاصرة، فالجزء التقليدي للمدينة يأتي ضمن المقياس ودرجة التحكم وحجم المبنى وشكله وطبيعة معالمه ومدى استخدامه من حيث الشكل أو الحجم أو الطبيعة المميزة للمباني، وتتمتع المدينة بميزة بصرية واضحة على مستوى الاستخدام السكني للمدينة، وتشكيل المناظر الطبيعية الحضرية ذات الطابع الخاص والشخصية التي تعكس طبيعة هذا الاستخدام في تحقيق الجماليات والمتعة البصرية، تتمتع المدن بالكثير من الإمكانات الجمالية غير المستغلة بسبب نقص الصيانة والإهمال، وفقدان الاستمتاع البصري من خلال تراكم اضمحلال الإحساس بالحدود المكانية ووظائفها، إن أسلوب تكون الفضاءات واحتوائها هو من المخططات المهمة التي تكون محلياً وتفصيلياً من شخصيته إذ يكون لكل فضاء هويته المتميزة، كما خطوط البناء وخطوط السماء وكما أن المساحات في المدينة بها تكوينات مادية غير كاملة مثل الأسطح والأرضيات، لذا؛ فإن الإحساس بالاحتواء في هذه المساحات ضعيف للغاية ويحتاج إلى التعزيز، ومسح شخصية الشارع يتم من خلال تحديد خصائص كل مساحة بشكل أساس من خلال العلاقة بين ارتفاع الكتل البنائية وأبعاد المساحات التي تحتويها، وفضاء الشارع هو إحدى المساحات الموجودة في المدينة، بالإضافة إلى ارتفاع الشارع للمبنى، وضعف تماسك اللبنات الأساسية للشارع وانهيارها بسبب النمو غير الكامل لهذه التكوينات، وعدم الالتزام بارتفاع المبنى المطل على الشارع وتحقيق التوازن.

تصور الإنسان لمشهد مدينته وبيئته الحضرية تجاوز القبول الصارم للتأثيرات البيئية، ولا يمكن وصف إحساس الإنسان ببيئته ومشاعره الشخصية إتجاه المدينة إلا على أنها تفاعل مستمر بين البشر والمكان موجود بين العقل والبيئة، والجمال المعماري والعمراني هو الاستعمال الجيد لأسلوب الإنشاء، والتوظيف، والترتيب الأفضل لمفردات التشكيل، والتكوين البصري المعماري والعمراني محققا الأسس والمبادئ التشكيلية والتكوينية ومعبراً عن المحتوى الوظيفي والاجتماعي والثقافي، ومحققة للمتطلبات الفرد النفسية والبيئية ومثلا لتكنولوجيا العصر المنتمي له، ويمكن تعديل سلوك الإنسان والسيطرة عليه من خلال خدمة احتياجاته الجمالية في تشكيل العمارة والمدن التي تشكل معا البيئة التي يعيش فيها، فللمدينة عدة صور عامة ترتبط بها بعدد معين من تأثير سكان المدينة، وترجع للمعتقدات والذكريات والتاريخ الذي ارتبط بأحداث المدينة، وهي الصورة الذهنية التي ترتبط وتتأثر بالإدراك البصري والسلوك الإنساني الاجتماعي والنفسي .

وجب علينا ومن الضرورة استعادة المفردات العمرانية والمعمارية، وتلبية الإحتياجات البشرية والبيئية عند تخطيط المدن الجديدة والتجمعات العمرانية بشكل عام، والمدن القائمة بشكل خاص، وأنظمة التحضر والبناء، وتحديد مفردات ومعايير لتقييم مناظر المدينة بصريا، مع مراعاة العوامل المكانية والزمانية لإعطاء درجة من الموضوعية، ونحن بحاجة إلى تعزيز شعورنا بالانتماء والخصوصية، وتحقيق ذلك من خلال النظر في العديد من المساحات الوظيفية بناء على الخطة، والتي تحتاج إلى الحفاظ على علامة مرئية للمنطقة من أجل الحفاظ على هويتها الحضرية الفريدة، فالتخطيط الحضري آلية لإبراز جمالية المكان.

كيف يمكننا تأهيل المباني التاريخية لتحقيق الحفاظ عليها وعلى جماليتها وتحقيق التنمية المستدامة؟ لتحقيق الحفاظ على المباني التاريخية وتأهيلها والحفاظ على جماليتها مع تحقيق التنمية المستدامة ضمن الإجراءات التي تسعى إلى توازن بين الحفظ والتجديد والاستخدام الحديث لتلبية متطلبات التنمية المستدامة، ما يسهم في تعزيز التراث الثقافي ويدعم الاستدامة الاقتصادية والاجتماعية، أن تحقيق التنمية المستدامة يعد خطوة ضرورية لضمان الاستخدام الفعال للموارد والحفاظ على التراث الثقافي وتحسين جودة الحياة للمقيمين، يشمل التأهيل المستدام للمباني تحديث الأنظمة البيئية والمعمارية لتحقيق الكفاءة في استخدام الطاقة والموارد وتقليل الأثر البيئي السلبي، من خلال بعض الاستراتيجيات والطرق التي يمكن اتباعها لتأهيل المباني بما يتوافق مع أهداف التنمية المستدامة: تحسين كفاءة استخدام الطاقة وتقليل استهلاك الطاقة اللازمة للتدفئة والتبريد من خلال تعزيز العزل الحراري، وتصميم المباني بطريقة تسمح بدخول الضوء الطبيعي لتقليل الاعتماد على الإضاءة الاصطناعية خلال النهار، استخدام تقنيات الإضاءة الحديثة مثل مصابيح LED وأجهزة الاستشعار للحركة لتوفير الطاقة، استخدام الطاقة المتجددة، إدارة المياه بكفاءة جمع مياه الأمطار وترشيد استهلاك المياه ، إعادة التدوير لمواد البناء وإعادة استخدامها الأنظمة الذكية وإدارة المباني وتحسين جودة الهواء.

2. الجمال الوظيفي بالمدن التقليدية:

اتضح أنها بعد جمالي، وأن حقائق المدينة هي تلك التي تؤدي إلى نوعية حياة أفضل، فهي توفر سياقا يلهم الثقافة، وتلهم وتساعد الفئات الإجتماعية المختلفة على تحفيز التفكير الإبداعي والقدرة الإبداعية من وجهة نظر التجميل، يمكن للمدن أن تتحول من مجرد مناطق مزروعة تجميلية إلى مجموعات مبان جميلة، ضمن مساحات خضراء تضفي جمالا وبهاء وراحة للقاطنين، مليئة بالحياة التي تدعم فيها طبقات وقطاعات مختلفة من المجتمع الحضري على التواصل والتفاعل والحركة البشرية، ونقل الخبرة والتجربة ضمن مساحات التواصل المبنية على ترسيخ العلاقات الاجتماعية .

لقد اصبحت شوارع المدينة جميلة ليس فقط لأنها مظللة بالأشجار والزهور فقط، وأصبحت الشوارع تعج بالعلاقات الاجتماعية والتفاعلات الانسانية من خلال تلقي الخدمات المتوفرة في شوارع المدينة المكتظة بالخدمات والمحال وأماكن الترفيه، ويمنح أفراد المجتمع فرصة للاستمتاع بمدينتهم، ورؤية الآخرين ورؤيتهم، يجب أن يتجاوز طموحنا لمدن جميلة المفاهيم للتخطيط والتحسين الحضري.

ولكي ننتقل من مدينة مخططة إلى تنفيذ المدينة، علينا أن نتحدث مع الناس ونشاركهم آراءهم ونتلمس احتياجهم لكي نوفر لهم حياة ممتعة ومحفزة، وتكون راسخة في ذاكرتهم، وبعبارة أخرى، أي الانتماء إلى المدينة بكامل عواطفهم وحواسهم، مدينة جميلة تحتفي بجمال العلاقة بين الناس والأماكن وتسعى إلى الاقتراب من عناصره الجمالية في تناغمه وصيانته وتطويره، ويهدف التخطيط والتصميم الحضري ككل إلى تحسين صورة المدينة وترقيتها من خلال تغيير هيكل المدينة وتجديدها وتطويرها وتوسيعها للأفضل والرقي للفرد.

3. الحس الجمالي في التخطيط الحضري بالمدن :

يعمل التخطيط الحضري على تقديم الإسكان والأحياء والمشاريع العمرانية بطريقة منظمة لخلق مساحات عمرانية ذات جودة عالية وتوفر حياة مريحة للناس، في فلسطين وجميع أنحاء العالم، إن الجهود والخطط المتبعة لتطوير المدن الفلسطينية تدرك أهمية التخطيط العمراني ودوره في تقدم المدن، إن الاهتمام بالجمال، بما في ذلك جميع مكونات المدينة وضرورة الحياة لجميع المقيمين والزائرين، والأهم من ذلك هو استعادة ذكرياته والتواصل مع حواسه، يذكر (لينش) في كتابه أن الصورة الذهنية للمدينة هي العناصر التي تشكل الخريطة الذهنية للمدينة، وهذا هو العنصر (المعلم) يعد الشارع الرئيسي في وسط مدينة طولكرم أحد أهم معالم المدينة لأنه يبرز في المدينة تكامل الفن والحيوية والاحتياجات البشرية لضمان مستوى عال من الانبهار الذي يبدأ بالمبنى الرئيس وهو السرايا العثمانية وهو الهوية والمعلم المميز للمدينة، واستنادا إلى التراث الثقافي والتاريخي والحضاري الذي تتمتع به القصبة (الشارع الرئيس) ، الذي يجمع كل العناصر الجمالية من مختلف الجوانب التي تتكون منها لتشكيل وإبراز المنظر الجمالي للشارع والعناصر الجمالية الموجودة للمدينة ومركزها.

رابعا- جماليات المبنى والعمران بالمدينة

يراعى الانسجام بين المبنى والمدينة والخصائص الجمالية للمجموعة العقارية عند تصميم المبنى والذي يحدد قواعد استكمال المباني وفقا لجمال المدينة، ولهذا الغرض يجب صيانته وتحديثه لينسجم مع الجماليات الحضرية، جماليات العمران ألزمت الجهات الإدارية الرسمية بترميم وتنفيذ أعمال الترميم وصيانة المباني القديمة والأثرية والتراثية والتاريخية، لما لها من أثر ملموس في إضفاء صورة رائعة عليها، والثقافة التي تتخلل المدينة وهذه المباني، بالإضافة إلى جمالياتهما ضمن عوامل مهمة في تاريخ المدينة من حيث قيمتها الاجتماعية والثقافية والتاريخية والمعمارية، وهذه السياسة هي أيضا استجابة واضحة لأحد أشكال التخلف التي تؤثر على النسيج العمراني للمدينة من خلال التقليل من قيمة هذه الآثار والمباني والتأثير عليها (عثمانية، 2016:38) .

ومع تطور الحياة البشرية على الأرض وارتباطها بهذه البيئة الطبيعية التي نسميها البيئة، فإن البيئة المعيشية للإنسان لها التأثير الأكبر على البيئة الطبيعية، فالبيئة هي الحاضنة الرئيسية للإنسان، فهي تؤثر عليه، وتتأثر به، وتتجذر في أصل علاقاته الاجتماعية والتكوينية، وهذه العلاقة أساسية ومستمرة ومتداخلة، فكلما حافظ الإنسان على البيئة كان المردود الإيجابي على تطورها عاليا ورفع مستواها المعيشي وطبيعة الحياة وأنماطها العامة.

وتختلف البيوت وأشكالها وتفاصيلها حسب الفئات الاجتماعية التي تسكنها، وحسب مهنهم ومركزهم الاجتماعي، كل ذلك يؤثر على تكوين البيت، ويشكل تخطيط المدن والتصميم العمراني الصيغة الاقتصادية لكل مدينة من خلال الرؤية والأهداف والغايات

والإستراتيجيات المختلفة التي يتبعها خطة عمل، ولا ينفصل تشكيل المدينة أو إعادة تشكيلها عن صياغة اقتصادها أو مستقبلها، الذي يؤثر الاقتصاد والاستقرار على التخطيط والتصميم العمراني.

تؤثر الإمكانات الاقتصادية للمجتمع بشكل واضح على الهياكل المعمارية المختلفة، يرتبط اختيار عناصر تعديل المساحة الحضرية بالعوامل الاقتصادية وتكاليف البناء، ومن حيث اختيار النوع وتكاليف إنتاج وصيانة المواد (أنظمة هندسية أو طبيعية) والتي تعتمد على نوع النشاط الممارس وطبيعة المنطقة وطبيعة التضاريس وطبيعة التصميم، وعوامل الضبط هي عوامل فنية ويختلف تطورها باختلاف العصر والمجتمع، بالإضافة إلى الأساليب العلمية والتكنولوجية، فهي مرتبطة بمواد البناء والأساليب المستخدمة في البناء، كما يتضح في العمارة الحديثة أن أساليب البناء ومواد البناء وطرق البناء المتوافقة مع هذا لها تأثير على أشكال ومكونات المساحات الحضري، ويبدو أن يتضح هذا في الحجم والتنوع الشديد في الأشكال والألوان والقوام، العوامل المتعلقة بالبشر والعوامل الاجتماعية والثقافية، وهي الظواهر التي يشارك بها عدد كبير من الناس في المجتمع، مثل الحاجة إلى العلاقات الاجتماعية والارتباط بالطبيعة والتقاليد والعادات المشتركة (حمدان، 1996: 237) .

يجب الانتباه إلى تناسق الموقع واللون والتناغم مع محيط اللوحات والإعلانات، من حيث التنسيق مع الخصائص العامة للمكان، ومظهره الجمالي والمرئي، والراحة النفسية للناس، وحماية البيئة ونقاء الهواء وتنسيق التصميم وتجميل العناصر من منظور التلوث الضوضائي، تعتبر الوظائف والسلامة العامة من القضايا التي تواجهها المدن، كما أنها تعمل كعنصر جمالي وجذاب في الفضاء لضمان السلامة العامة لمستخدمي الفضاء، ينبغي الحرص على وجود حواف تفصل المساحة عن حركة مرور المركبات حتى لا تختلط حركة المرور بالمركبات (عثمانية، 2016: 145) ، تصميم أماكن جلوس مريحة تدعم العلاقات الاجتماعية والتواصل الاجتماعي مع الأشخاص، مع توفير عناصر محددة مثل لافتات المعلومات واللافتات والاهتمام بجودة الإضاءة المناسبة، العناصر التي توفر الراحة والإرشاد للأشخاص والقضايا الجمالية تمليها التأثير السلبي على تشكيل الفراغ والصورة بين المستخدمين، مثل التشوه البصري الظاهر الذي ينتشر في واجهة الفضاء والمباني المحيطة به، وهناك ارتباك واضح في المواد والألوان، وخاصة العشوائية، من واجهات المبنى الواحد، وعشوائية العلامات التجارية، وعشوائية طبيعة المظلات وحجمها ولونها وظهورها، وقلة التوحيد والتنوع، مما أدى إلى قلة الوعي والاهتمام من قبل المواطنين، وعدم الاهتمام بعناصر الأثاث وصيانتها، والاهتمام بالتنسيق وألوان الأثاث، إضافة الملل والرتابة والركود إلى التصميم الهندسي المتناسق للفضاء وتوزيع عناصر التنسيق. (https://insaniyat.crasc.dz)

خلاصة:

تلعب عناصر تنسيق الموقع دورا مهما في وضوح الإدراك البصري وتشكيل الصورة الذهنية للمكان، وتحقيق الوحدة البصرية واتساق التصميم والعناصر أهم عنصر في جمال المكان، وتشكيل المشهد الجمالي العام كمعلم تاريخي يساهم في حركة الزوار والقاطنين في شوارع المدينة مما يجعل من هذه الحركة حياة للمدينة، وهذا واضح من الناحية الجمالية، فتنسيق المظهر العام من خلال ربط ألوان العناصر هو انسجام تام مع بعضها البعض، وتحقيق التكامل من الألوان، وهو المظهر الجمالي الذي تحققه هذه العناصر، وتصميم العناصر لا تشكل سوى المظهر الجمالي، فالهدف هو تحقيق الجوانب الجمالية بالإضافة إلى كونه عنصرا جماليا يمكنه تحقيق جانب رمزي .

النتائج والتوصيات

النتائج:

في ضوء التحليل والتقييم الذي تم، يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

1. الفراغات الموجودة لم تراع متطلبات المستقبل؛ لأن جميعها في مراكز المدن موزعة بشكلها القديم الذي لا يلبي احتياجات المنطقة والسكان.
2. المباني والعمارة الجديدة غير منسجمة مع الطابع المعماري التقليدي، مما يؤثر على عدم الترابط والتسلسل البصري وخلخلة في استمرار الرؤية البصرية الجمالية للطابع المعماري.
3. تشويه الشكل العام للمباني وظهور عناصر دخيلة من إضافات على جانب المبنى أو فوقه لا ينسجم مع المحيط.
4. إن ضعف عمليات التخطيط الحضري وعدم انتظام المخططات الهيكلية في المنطقة أسهم في الحد من وجود المرافق وتقديم الخدمات.

التوصيات :

بناء على ما سبق من نتائج حول جماليات المدينة يمكن تقديم مجموعة من التوصيات العامة ويمكن تعميمها على جميع المراكز الحضرية في المدن بسبب تشابه الظروف المتعلقة بمراكز المدن.

1. بتكريس سلوك الانتماء والمحافظة على المكان، وزيادة الوعي وتفعيل المشاركة المجتمعية بالأفكار والتخطيط والتنفيذ وما بعد التنفيذ.
2. الدراسة والعمل على إعادة صياغة صورة مستقبلية لمركز المدينة بطريقة تتناسب مع الشكل العام، للخروج من مشكلة التشويه للصورة النمطية التقليدية لمراكز المدن .
3. تفعيل القوانين وتنفيذها، التي تمنع الأعمال العشوائية وغير مدروسة، والتي يتحكم بها مزاج المنتفعين في المباني بشكل عام، يجب أن تكون ضمن تخطيط مستقبلي ومستدام.
4. متابعة وتقييم دوري لمراحل العمل من خلال البلدية وطواقمها للمشاريع المختلفة وذلك لرفع كفاءة الخدمة واستدامتها المقدمة للسكان، والتي تعمل على إثراء الحالة الجمالية في المدينة .
5. تحديد الارتفاعات وشكل المبنى وطراز البناء بما ينسجم مع محيطه والذي يؤثر إيجابيا على الشكل العام، من خلال وضع قوانين خاصة وملزمة للبناء الخاص في المناطق القريبة من مركز المدينة التاريخي.
6. تفادي المشاكل التخطيطية الموجودة من خلال المخططات الهيكلية للمدينة، ووضع آليات عمل مستقبلية لمعالجة وتصورات للصورة البصرية والجمالية.
7. تجديد وتوفير مراكز حضرية جديدة، لتخفيف الضغط على مراكز المدن وتوفير الوقت والراحة على السكان .

المراجع

- إبراهيم، حازم محمد. (1982). تأملات في الفراغات. القاهرة: مجلة عالم البناء، (26).
- جعفر، حسن فيصل. (2001). الدلالات المكانية في البنية الحضرية، رسالة ماجستير، العراق: جامعة بغداد.
- الجهاز القومي للتنسيق الحضاري. (2010). اسس ومعايير التنسيق الحضاري لمراكز المدن. مصر: وزارة الثقافة.
- جواد، سلام عبد الحسين. (2011). التغير في مراكز المدن التأريخية. مجلة المخطط والتنمية، بغداد: جامعة النهرين، (24).
- حجاب، محمد منير. (2007). اساسيات الراي العام، مصر: دار الفجر والتوزيع.
- حمدان، عمر. (1996). العمارة الشعبية في فلسطين، فلسطين: جمعية إنعاش الاسرة.
- الزبيدي، صبيح فرحان. (2016). التلوث البصري في المشهد الحضري التجاري تحليل بصري لمحاور منتخبة في مدينة الكوت. مجلة واسط للعلوم الهندسية، العراق: جامعة واسط، 4 (1).
- عثمانية، مريم. (2016). الرونق الجمالي للمدينة. مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر: جامعة قسنطينة، (6).
- الكناني، عامر. (2012). التشكيل الحضري والبصري للمدينة، مجلة المخطط والتنمية، العراق: جامعة بغداد، (26).
- الكناني، عامر. (2015). أثر العولمة في تغير إدراك الصورة الذهنية للفضاءات الحضرية، اطروحة دكتوراة، العراق، جامعة بغداد.
- المبارك، عامر. (1999). التماسك والتفكك في بنية المشهد الحضري، رسالة ماجستير، العراق، جامعة بغداد.
- المطهري، مرتضى. (2009). انسنة الحياة في الاسلام. ط1. بيروت: دار الارشاد.
- المنودلاوي، عماد. (1991). تخطيط وتصميم وتقنية بناء الابنية العالية، اطروحة ماجستير، العراق، جامعة بغداد.
- مهدي، محمد. (2008). التكامل الحضري في المراكز التاريخية، اطروحة ماجستير، العراق، الجامعة التكنولوجية بغداد.

References (Arabic & English):

- Ibrahim, H. (1982). Reflections on the blanks. Cairo: Journal of Alama albina, (26), (in Arabic).
- Jaafar, H. (2001). Spatial Semantics in Urban Structure. Master's Thesis, (in Arabic): Iraq: University of Baghdad.
- National Organization for Urban Coordination. (2010). Foundations and Standards for Urban Coordination of City Centers: (in Arabic), Ministry of Culture: Egypt.
- Jawad, S. (2011). Change in the Centers of Historical Cities, Journal of Planning and Development, (in Arabic): Baghdad, Al-Nahrain University, (24).
- Hijab, M. (2007). Fundamentals of Public Opinion. (in Arabic): Egypt, Dar Al-Fajr and Distribution.
- Hamdan, O. (1996). Popular Architecture in Palestine. (in Arabic): Palestine, Inash Al-Usra Association.

- Zubaidi, S. (2016). Visual pollution in the commercial urban landscape: A visual analysis of selected axes in the city of Kut. Wasit Journal of Engineering Sciences, (in Arabic): Iraq, Wasit University, 4 (1).
- Othmania, M. (2016). The Aesthetic Splendor of the City. Journal of Humanities, (in Arabic): Algeria. University of Constantine, (6).
- Al-Kinani, A. (2012). Urban and Visual Formation of the City, Journal of Planning and Development, (in Arabic): Iraq, University of Baghdad, (26).
- Kanani, A. (2015). The impact of globalization on changing the perception of the mental image of urban spaces, PhD thesis, (in Arabic): Iraq, University of Baghdad.
- Mubarak, A. (1999). Cohesion and Disintegration in the Structure of the Urban Landscape. Master's Thesis, (in Arabic): Iraq, University of Baghdad.
- Mutahari, M. (2009). Humanizing Life in Islam. (1th ed.). (in Arabic) Beirut, Dar Al-Irshad.
- Manudlawi, I. (1991). Planning, Design and Technology of Building Tall Buildings, Master's Thesis, (in Arabic): Iraq, University of Baghdad.
- Mahdi, M. (2008). Urban Integration in Historical Centers. Master's thesis. (in Arabic): Iraq, Baghdad University of Technology.
- Canter, D. (1977). The psychology of place. The architectural press LTD. London.
- Cullen, G. (1961). Townscape. The Architectural Press. London.
- Eames, E., and others, (1977). Anthropology of the city. prentice hall. New jersey.
- Eduardo, R., & Claudio, C. (1999). Lending for Urban Heritage Conservation-Issues and Opportunities. Washingto, D.C.
- ICOMOS. (1987). Preservation and Revitalization of Historic Centers. Brazilian First Brazilian seminar about. the preservation and revitalization of historic centers.
- Lynch, k. (1981). The theory of good city form. Cambridge. MIT press.
- Masfer, J. (1984). villes islamiques cites. et dhier daujourd hui conseil international de langue francaise.
- Paolo, C., & Vicario, E. (1977). Yemen Land of Builders Academy Editions.
- Papa Georgiou, A. (1971. Continuity and Change. Preservation in City Planning.
- Rechard, P. (1969). Environment design. Van Nostrand. Reinhold company. Canada.
- Spreiregen, P. (1965). Urban Design: The Architecture of Towns and Cities. Mc Gram Hill. Newyork.
- Ward, P. (1968). Conservation & Development in Historic Towns & cities. Oral Press limited. London.

Website:

- https://insaniyat.crasc. dz/index.php/fr/cahiers-insaniyat/76-cahiers-insaniyat/c4.